منتديات التصفية والتربية السلفية
محفوظة جميع الحقوق
www.tasfiatarbia.org

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رسالة إلى إخواني السلفيين

ونصيحة إلى العقلاء من أتباع

الشيخ محمد بن هادي (هدانا الله وإياهم لرضاه)

بقلم / على
الوصيفي

(الرسالة الأولى)

الحمد لله والصلاة علىٰ رسول الله ﷺ ، وبعد : فقد تركنا النبىٰ ﷺ علىٰ المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فطوبىٰ لمن سار علىٰ دربه واقتفىٰ أثره ، واهتدىٰ بهديه واستنَّ بسنَّته، وجاهد في نشر دينه وذبَّ عنه كيد أعدائه ، قال تعالىٰ : ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف:157]، وطوبىٰ لمن فعل ذلك ابتغاء مرضات الله تعالىٰ رَغَبًا في جنَّته وخوفًا من عذابه ، ليحظىٰ فوق ذلك بلذة النظر إلىٰ وجه الله الكريم، قال تعالىٰ : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ﴾ [يونس:26]، أما بعد:

فأحب أن أحيطكم علمًا يا إخوانىٰ في الله تعالىٰ بأمور ضرورية، ربما تغيب عن كثير منكم ، في خِضَمِّ ما يقع في العالَم من تغيُّرات سريعة وأحداث مؤلمة موجعة، تطايرت فيها رقاب كثير من المسلمين ، وتمزَّقت فيها كثيرٌ من الأوطان

العربية والإسلامية، وانفضَّ فيها كثيرٌ من الناس عن العلماء والعقلاء وأهل الحكمة، ولم يبق لهم إلا سفهاء الأحلام وحدثاء الأسنان والرويبضة، يسوقونهم، وهم صرعىٰ حيث شاءوا . فلا تكونوا مع أمثال هؤلاء ولا تفكروا بعقولهم، التىٰ غذَّاها المستغربون بثقافات خبيثة ، وقد علمتم أنَّ عدوَّكم وعدوَّ الإسلام لا يفتأ يمكر بالأمة ليل نهار، ليخرج هؤلاء الموتىٰ من قبورهم ليسودوا ، قال تعالىٰ: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ﴾

ولما كانت أفعال الله تعالىٰ لا تخلوا من الحِكَم ، نظرنا في تسلُّط المجرمين علىٰ دين الله تعالىٰ، وقلنا ما حكمة الله تعالىٰ من وراء ذلك ؟ فقلنا : لعل الله تعالىٰ أراد إظهار دينه وسنَّة رسولهﷺ، فقيَّض له من المجرمين من يحاربونه ويطعنون فيه ، بالشبهات والأباطيل ، قال تعالىٰ : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ ليظهر من خلال تلك المعركة دين الله تعالىٰ بحججه وبراهينه ، صفيًّا نقيًّا ، لا يشوبه دخن ، ولا يتعلّق به شبهة ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ .. ولتسقط حجج أعداء الله جميعًا، واحدةً تلو الأخرىٰ، فلا تُرفع لها الرؤوس، ولا تشرئب لها الأعناق ... ولكن علىٰ يد من تظهر آيات الله وبراهينه ؟ ليس لها إلا الأكابر المشهود لهم بالدين والدراية، الذين يعظِّمون الآثار، ويقتفون درب الخُلَّص الأخيار، هؤلاء هم الذين تُدفَع بهم تأويلات الجهال، وتُرفَع بدعوتهم المصائب والمدلهمَّات، وبهم يحفظ الله الديَّار والأوطان والأمصار، فالواجب ردُّ الأمر إليهم ، فهم أمنة للناس من كلِّ شرٍّ ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ

ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ ...وأعداء الله تعالىٰ يعلمون ذلك، يعلمون أن بقاء العلماء الأثبات بقاءٌ للأمة، كما يعلمون أنَّ ضربهم ضربٌ للأمة، وقد نُقل عن هرتزل مؤسس الدولة اليهودية وقيِّم بروتوكلات بنىٰ صهيون أنه قال: «لو كان ابن تيمية حيًّا ما أقيمت دولة إسرائيل» .ولا يخفىٰ علىٰ البصير منكم دور شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في دفع التتار عن بلاد الشام ، قام يحث أهل الشام علىٰ الجهاد في سبيل الله، وأمرهم بترك التفكير في الهجرة قائلا لهم : «ما تنفقونه علىٰ الهجرة ادخروه للجهاد».وقام يدفع الأمراء المصريين دفعا إلىٰ نجدة أهل الشام ، ويرفع يديه بالدعاء، مستغيثًا بالله تعالىٰ لنصر المسلمين .. فحفظ الله تعالىٰ به الديار الشامية، وأبرَّ قسمه ، إذ أقسم أكثر من سبعين يمينًا أنَّ الله سينصر المسلمين هذه المرة، فنصرهم الله، وقد كان الأمراء يقولون له قل إن شاء الله ، فكان يقول : «إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا»، وكما قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يحتج بقول الله تعالىٰ :﴿ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴾

ولقد قصدت أن أشير إلىٰ أمر قد يغفل عنه كثيرٌ من الناس ألا وهو ما يتعلق بمنظور الدول الغربية نحو العلم والعلماء في البلاد الإسلامية. فهم يعلمون أن سبيل القضاء علىٰ أيِّ أمَّة يبدأ من الطعن في علمائها ، كما أنَّ أهل الإسلام يعلمون أنَّ صلاح أيَّ أمة يبدأ من صلاح علمها وعلمائها، وقد اتفق هؤلاء المستشرقون جميعًا علىٰ أنَّ دعوة العلامة الشيخ ربيع بن هادي السلفية الأثرية الأصيلة ، التي يحصرونها في مفهوم«المدخلية» تمثِّل عندهم أقوىٰ

الدعوات علىٰ الإطلاق ، لأنها الدعوة الأصولية القائمة علىٰ الدليل والبرهان، التي يجب القضاء عليها قضاءً مبرمًا، حتىٰ لا تبلغ ما تريد، فجعلوا أول سبيل في الوصول إلىٰ ذلك تشويه صورة إمامها، والحطِّ من مقامه، وصرف الناس عنه ، بتشويه طلابه، وتهميش كتبه ونصائحه.

وقد سبقهم إلىٰ ذلك محمد علي باشا الألباني حاكم مصر، فقد كان يهين العلماء، ويحط من قدرهم، وينزع سلطانهم، ويسعىٰ في عزلهم، بما تمكن في قلبه من أصول التغريب، التي أدت إلىٰ بغض العلم والعلماء، والسعي في هدم قلاع التعليم الديني في مصر وفي غيرها من بلاد المسلمين، حتىٰ إنه أرسل ولده إبراهيم باشا للقضاء علىٰ دعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب السلفية الأثرية في بلاد نجد .. ولو قلت لماذا يفعل هؤلاء التغريبيون ذلك تجاه هذه الدعوة ، وهم يعلمون أنها دعوة سلمية ، لا تخرج علىٰ الأمراء، ولا تحدث الفتن، ولا تنقض العهود، ولا تهدد المؤمَّنين، ولا تروِّع الذميين .! والجواب علىٰ ذلك أقول : إن هؤلاء الناس لا يحسنون إلا المواجهات العسكرية، ومن بعدها المواجهات السياسية، فلهم مدارس وهيئات وضعت مخططات طويلة المدىٰ لتلك المواجهة، ووجود فرق كأمثال داعش والقاعدة يسهل التلاعب بها واختراقها والقضاء عليها، كما يسهل الاستفادة من وجودها علىٰ رأس قائمة الأعداء، في تأجيج نار العداوة نحو الإسلام والمسلمين في بلاد الغرب، لصرف الناس عن دين الله، وكذلك الدعوات السياسية، فإنهم يستطيعون التلاعب بها، وتوجيهها حيث شاءوا، بحجة الإصلاح وحقوق الإنسان والمرأة والديمقراطية .

لكن تلك الدعوة السلفية المباركة ، التي تأخذ من معين السلف نبراسًا لها لا يستطيعون مواجهتها ولا القضاء عليها ، فليس عندهم علم ولا حجة ولا برهان ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾، ليس عندهم إلا بث الفرقة بين طلابها من أجل القضاء عليها، وتفتيتها من الداخل، ومن ثم القضاء علىٰ الأمصار والديار . فمن يقوم بهذه المهمة .؟

قد يقوم بها بعض أبنائها ، بحجة الحفاظ علىٰ المنهج والدفاع عن السنة، وهؤلاء يتم دفعهم بمفهوم «الإدارة عن بعد» وهؤلاء المساكين قد يخضعون لهم بغير علم ولا دراية ولا قصد ولا إكراه ، إلا أنهم يظنون أنهم يخدمون الإسلام .. وهم في الحقيقة يسعون في هدمه والقضاء عليه – ومعاذ الله تعالىٰ أن نتهم أحدًا منهم بالخيانة، فإننا موقوفون بين يدي الله تعالىٰ ، محاسبون علىٰ أعمالنا وأقوالنا .. ورمي الناس بالخيانة جرم عظيم وفعل شنيع، والحكم علىٰ الناس بالظن لا يجوز، قال تعالىٰ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ ﴾ المهم في النهاية أن تتحقق مآربهم ، وهم جالسون في أوطانهم آمنين ، دون أن يقع منهم في سبيل تحقيق ذلك قطرة دم واحدة ، وهذا من باب استبدال الآلة النفسية والنزاعات العرقية والطائفية بالآلة العسكرية. وقد دار بيني وبين أحد الصحفيين حوارًا حول وجهة نظر الغرب في الدعوات المنتشرة في الساحة، فقرر ما تقدم ذكره آنفا ، وقال لي: إنَّ أحد المستشرقين الغربيين قال له إن أخطر دعوة تواجهنا في العالم هي دعوة «السلفية المدخلية » .! فردَّ عليه قائلا : كيف ذلك وهىٰ بهذا الوصف المذكور آنفا .؟ فقال إنها مدرسة تعتمد العلم الشرعي في الوصول إلىٰ غاياتهم، وهذا طريق لا نحسن مجارات أهله، ولا رد

حججه .! ولا بد من القضاء عليها .. وعليه فلا بد أن يُعلَم أن القضاء علىٰ العلماء وطلابهم المتمكنين هو أول السبل التىٰ يلجأ إليها أعداء الله تعالىٰ لغزو بلاد المسلمين، وسأبيِّن لكم حقيقة ذلك من التاريخ الإسلامي، لتكونوا يا إخواني علىٰ بيِّنة مما يحاك لكم، ولتنظروا في معالجة الأمور والقضايا والمحن ، بما يتناسب معها.

ولتعلموا كيف يكون الحال لو اتفق علماء المملكة والكويت ومصر والجزائر والسودان علىٰ منهج واحد وطريق واحد ؟ وكيف يكون الأمر شاقًّا علىٰ أعداء الله تعالىٰ في ضرب تلك الدعوة السنية الأثرية .. ولبيان ذلك ألفت نظركم إلىٰ ما اتخذه الفرنسيون في الزمن الماضي من أجل القضاء علىٰ الأمة وتشتيت شملها ، قال الشيخ محمود شاكر رحمه الله : «أما فرنسا التي طردتها إنجلترا من الهند كلها سنة 1761م/ 1175هـ فآبت إلىٰ ديارها تلعقُ جراحها، وجعلت تعد العدَّة وتُفكِّر في اختراق دار الاسلام في مصر لوأد اليقظة المخوفة العواقب التي بعثها البغدادي والزبيدي والجبرتي الكبير في مصر، فهي يقظة يخشىٰ أن تؤدِّي إلىٰ يقظة دار الإسلام كلها بما فيها اليقظة المتفجرة المتحركة الجديدة في جزيرة العرب، فإذا تم اندماج اليقظتين فلا يعلم إلا الله كيف يكون المصير» (رسالة في الطريق إلىٰ ثقافتنا .ص/ 118) وقد أدت الحملة الفرنسية غايتها ، كما قال العلماء بالسطو علىٰ كتب التراث ، ليحولوا بين التلاميذ وبين أسباب العلم والدين، ثم تشتيت شملهم بعد ذلك، لتسقط تلك المدرسة بأكملها علىٰ رؤوس أصحابها، يقول الشيخ محمود شاكر: «وبلا شك كانت سنوات الحملة الثلاث، وما أصاب القاهرة فيها من التَّدمير الشنيع، وسفح الدماء، وما

عمَّ أحياءها من الثوارت والفتن الكبار والصغار، ثم قمعها بفجور وشراسةٍ وتحضُّر أيضًا، كان ذلك كله حدثا مُتمادِيًا كافيًا أدىٰ إلىٰ تشتيت شمل تلامذة الجبرتي والبغدادي والزبيدي، وتفرُّقهم في الأرض، وضياعهم في الهرج والمرج.. الخ» (رسالة في الطريق إلىٰ ثقافتنا .ص/ 99) ..

وقد شهدت مصر يقظةً دينيةً علميةً في هذا العصر أقصد عصر الجبرتي والمرتضىٰ الزبيدي وغيرهم ، كما شهدت بلاد الجزائر يقظةً علميةَ دينيةَ في عهد الإمام عبد الحميد بن باديس، كما شهدت بلاد الحجاز ونجد كذلك يقظة دينيةً علميةً في عهد الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، وكذلك شهدت بلاد اليمن في عهد الإمام محمد بن علي الشوكاني . وقد كان لكل واحد من هؤلاء العلماء تخصص في مجال من مجالات العلم والأدب والشريعة واللغة والعقيدة والسنة والفقه، والناس لهم في ذلك تبع .. وهذا هو مكمن الخطر ..

فماذا ستفعل أوروبا وفرنسا ودول الاستشراق للقضاء علىٰ تلك الجبهة العلمية الصامدة ؟ التي لو أنها اتحدت واتفقت فلن يكون للمستشرقين سبيل عليها . ليس هناك من سبيل لتفكيكها إلا بالطعن في علمائها وطلابها، وإثارة الثورات في بلدانهم، لصرف الناس عنهم، وهكذا فعلوا في مصر والجزائر والسودان وغيرها من البلاد .. وتم تنفيذ المخطط .. **ومن أجل ذلك عندما شممت رائحة الطعن في طلاب العلامة المحدث الشيخ ربيع بن هادي ، ثم تهميش دوره ودور طلابه أجمعين ووصفهم بالصعفقة – التي ليس فيها إلا الكلام والرأي والقياس الفاسد – بغير الحق عرفت أنَّ المخطط قد بدا ولاح في**

الأفق ، وأنَّ المقصود من ذلك هو ضرب تلك الدعوة، من خلال إسقاط شيخها وعالمها الكبير، وربما يكون من القائمين بهذا من لا يقصد ذلك، إلا أنهم لا يدركون مآلات الدروب التي يسلكونها، والمخططات التي ينسجونها ، وأمثال هؤلاء لن ينالوا نصيبًا من وراء ما قدَّموا، ولن يسودوا أبدًا، ولن يظفروا، فإنَّ المخطط لو تمَّ كما أرادوا فإنهم سيسقطون في نهاية المطاف في الهاوية حتمًا لازمًا ، وإن لم يتم فإنهم سيسقطون كذلك ، فهم علىٰ جميع الأحوال ساقطون، وسيصدق فيه قول الشاعر العربي :

كناطِحٍ صَخرَةً يَومـًا لِيَفلِقَها فَلَم يَضِرها وَأَوهىٰ قَرنَهُ الوَعِلُ .

هذا هو ما وقع فيه للأسف الشيخ محمد بن هادي ومن معه، حين اتهموا طلاب العلامة الشيخ ربيع بن هادي مدخلي بتلك الاتهامات الفجَّة، والصعفقة المذمومة ، مع علمهم أن إخوانهم هؤلاء الذين اتهموهم لم يقولوا بقول الروافض ولا الصوفية ولا الجهمية ولا المعتزلة ولا الخوارج أعداء السنن، ولم ينتسبوا إليهم، ولم ينافحوا عنهم، ولم يطعنوا في أهل الحديث والأثر، وليس في الأمر إلا سقطات لسان ، إذا استبانت لعالم تركها وذمَّها، وأعلن توبته منها ، ثم وجدت الأمر ينتقل بمرور الوقت تلقائيا إلىٰ الطعن في العلامة الشيخ ربيع بن هادي مدخلي – حفظه الله وأدام توفيقه – واتهامه بأنه انحرف عن السنة، وسلك درب الخوارج عن طريق الداعية المصري خالد عبد الرحمن ..

حينها عرفت أنَّ هذا هو نهاية المطاف ، وليس وراء ذلك مطلب لأعداء الإسلام والمتربصين بتلك الدعوة باختلاف صورهم ، فبئس ما قالوا ، فلن يجنوا من الشوك العنب، إنما سيجنون الجروح والآلام ، وسيكونون وبالاً

علىٰ الدعوة السلفية ، ولا أقصد من ذلك الطعن في نياتهم، فقد يساقون إلىٰ حتفهم وعداوة إخوانهم، بغير دراية منهم، ولكنهم سيحملون وزر أفعالهم وأقوالهم وأوزار من أضلُّوهم بغير علم، بين يدي علام الغيوب ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ .. فهؤلاء لم يعرفوا فضل الشيخ ربيع عليهم بعد فضل الله تعالىٰ، فحاربوه بحمق وجهل، ولو عرفوا فضله ومقامه لعاملوه بأدب وحكمة، وتأدبوا معه ومع طلابه ، ولكنهم لشدة ما أصابهم من وهن لم يميِّزوا بين الحسن والقبيح، ولا بين الصالح والطالح، وصار الأمر كما قال الشاعر العربي :

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ ... يَجِدْ مُرًّا بِهِ المَاءَ الزُّلاَلاَ .

ولكننا سننظر في النتيجة لنعلم من وراءها .. وأرىٰ أنه لا قصد من الطعن في طلاب الشيخ بالإجماع إلا الطعن فيه والطعن في مدرسته ، كما أنه لا مراد للروافض من الطعن في الصحابة إلا رد الشريعة ، وإليك أخي الطالب قول الإمام عبدالوهاب الورَّاق: «**من تكلَّم في أصحاب أحمد فاتَّهمه ثم اتَّهمه، فإنَّ له خبيئةَ سوء، وإنَّما يريد أحمد**»[1] . ولا يخفاك أيها البصير أنَّ الوقيعة في علماء الأثر شرٌّ مستطير أعاذنا الله منه ، فإذا ذهب العلماء وطلابهم فمع من من الناس يطيب الأنس، قال البخاري: «**سمعت أحمد بن حنبل يقول: إنَّما الناس بشيوخهم فإذا ذهب الشيوخ فمع من العيش؟ !**» [2]، وقد قام أصحاب أحمد بدورهم في الدفاع عن تلامذة أحمد، والذبِّ عن عرض شيخهم وإمامهم ..

([1]) «سير أعلام النبلاء» (13/ 171).

([2]) «الآداب الشرعية» (2/ 146).

حفظًا للدين والسنة، وكذلك ردَّ العلامة الربيع بنفسه علىٰ طعونات الشيخ محمد بن هادي في إخوانه وطلابه، وقال: «ما عنده أدلة ، إنها ثرترة .. سعىٰ في تمزيق شمل السلفيين... إن فتنته أشد من فتنة عبد الرحمن عبد الخالق» أهـ

فردَّ خبره، ولم يقبل جرحه القائم علىٰ غير بينة وبرهان .. أما خالد عبد الرحمن المصري – هداه الله – فقد تصدَّىٰ له طلاب الشيخ ربيع ومحبُّوه وإخوانه من جميع أنحاء العالم ، بل وكثيرٌ من المخالفين له والساكتين في تلك الفتنة بالرد عليه، وارتدَّت قذفات سُمِّه إليه ، وقام ترياق العلم شامخًا أمام تلك الهجمة الآثمة ، فسكت المدَّعي ، ولم ينطق ببنت شفة .. أما سميُّه المصري فقد كنت أتمنىٰ أن يكون بعيدًا، لا ناقة له ولا جمل، كما تعهد علىٰ نفسه هو وأصحابه بعدم الدخول في تلك الفتنة ، ولكنه – هداه الله – أبىٰ إلا بأن يهلك نفسه بنفسه، دون أن يدري، وأظهر خصومة وعداوة، لا علاقة لها بالعقل ولا بالنقل، ولا بالشرف ولا بالمروؤة ، فصار يمدح نفسه وعلمه، بما تمجُّ منه الأسماع وتستكرهه ، وتردُّه الأخلاق وتأباه ، وصار يظهر مواقف مترددة بين النقيضين .. فيأمر طلابه بالبعد عن تلك الفتنة، وهو غارقٌ فيها، محذِّرًا من يخالفه بالطرد والإبعاد ، أسأل الله أن يهديه ويردَّه وإخوانه إلىٰ الحق ردًّا جميلا ، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه، حتىٰ تنطفيء تلك الفتنة ويزول شرُّها .

والعجب أنني وجدت بعض هؤلاء الطاعنين يهوِّن من الأمر ، ويبرهن لنفسه أن المسألة مجرد رد خطأ للشيخ ربيع ، وهذه ليست جريمة، فالشيخ ليس معصومًا ، ولا معصوم إلا محمَّدٌ صلوات ربي وسلامه عليه ، وكلٌّ يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر، كما قال مالك وغيره .. وليست المسألة يا

إخواني استدراكًا علىٰ عالم في مسألة من مسائل الفقه والمعاملات ، التي لا تسبب فُرقَةً ولا تبديعًا ، إنَّها اتهام في المنهج وطعن في الاعتقاد ، ولا قصد من ذلك إلا صرف الناس عن الشيخ ربيع وعن طلابه، ومن صرف الناس عن دعاة السلف وأهل الحديث والأثر فهو بلا شك علىٰ غير السبيل، قال الإمام الطحاويُ : **«وعلماء السَّلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين – أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر – لا يُذكَرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء، فهو علىٰ غير السَّبيل»** . [3]

ومن العجب أن ترىٰ من يتهم الشيخ ربيع بتلك الاتهامات ويطعن فيه بأنه انحرف عن السنة، بينما ينعته بالوالد الذي له الفضل الكبير عليه ، فأيُّ خُبثٍ أكبرُ من هذا .؟ وهل هذا إلا كرجل يدَّعي تعظيم الحديث والسنة ، قاصدًا استمالة العامة إليه ، بينما هو يؤوِّلها بالعقل والفلسفة ، ويردُّ مقاصدها ومعانيها الظاهرة بالزور والفهم السقيم ، ليجعل أصول الحق كشبهات الباطل والنور كالظلام . **كهذا الطاعن يستميل العامة بتعظيم شيخه ، ليقبل الناس قوله، بينما هو يتهمه بالانحراف عن السنة، واقتفاء سبل الخوارج، بمفاهيم خرقاء ومقدمات عقلية باطلة ، ليصرف الناس عنه** .. هذا هو اللؤم والتلون علىٰ حقيقته، وهؤلاء لا السنة نصروا ولا البدعة كسروا، وما حافظوا علىٰ الجماعة، ولا أطفأوا نار الفتنة . فلا عقل ولا نقل ولا مروءة ، وما هكذا يعامل الولد أباه .. يثني عليه ثم يطعن فيه ، إنما كان من الواجب أن يذهب إليه، ويجثوا بين يديه، ويسأله عما أشكل عليه، ثم يعتذر ويتأسف، ويرجع عن خطئه ، إن كان صادقًا

([3]) «متن العقيدة الطحاوية»

في توبته ، هذا هو التبر المسبوك في مصاحبة أهل العلم والملوك ، وتلك هي المعادن الأصيلة الثابتة التي لا تتغير ولا تتلون، أما بمجرد أن يقول الشيخ قولا فتتطاول عليه الألسن، وتتهمه بالانحراف عن السنة، وتكون تلك الألسن التي تتهمه هىٰ التي ربَّاها الشيخ وغذَّاها في بيته، وفتح لها أبواب الدعوة والجاه والمقام، فهذا والله أمر تشيب له الولدان، قال الإمام الحافظ أبو العباس الحسن بن سفيان لرجل أدخل إسنادا في إسناد امتحانًا له : «**ما هذا؟! قد احتملتك وأنا ابن تسعين سنة، فاتق الله في المشايخ، فربما استجيبت فيك دعوة**» . [4] ، وقد كان هذا التلميذ وهو أحمد بن علي الرازي يريد أن يثبت قوة علم شيخه في معرفة أحاديثه ... فكيف بمن طعن في شيخه، ولمزه بغير حق ولا دين ..! أما يخشىٰ هذا المذكور أن يدعو عليه شيخه، ويقول في دعائه « قاتلك الله قاتلك الله قاتلك الله » ..

ولقد وجدت بعض هؤلاء الطاعنين يطعنون في شيخهم ثم يلوحون بتذاكر التزكيات في وجوه الناس، كأنها تعصمهم من الزلل ، وتغفر لهم كل بلية، وتبرء ساحتهم من كل تهمة ، وهم في الحقيقة متَّهمون، وإن زكاهم من زكاهم من أهل العلم ، فقد كانوا يسعون في طلب التزكيات من شيوخهم بكل مسكنة، ويتزينون أمام الأشياخ بموافقتهم في المنهج ، وهل كانوا يستطيعون غير ذلك .؟ – وقد كان هذا دأب الإخوان المسلمين في المملكة أمام العلامة الشيخ ابن باز رحمه الله ، كما ذكر الشيخ مقبل ابن هادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حتىٰ إذا حصلوا علىٰ تلك التزكيات، واشتدَّ عودهم ، وعلموا أن الأمر قد يتغيَّر ويؤول إليهم قاموا يرمون

([4]) «سير أعلام النبلاء» (14/ 159).

عامة الناس بالباطل، فضلا عن شيوخهم .. وقد كان بعض الطلاب التكفيريين المتستريين من جماعات التوقف والتبيُّن في مصر، والتي هربت من مكة إلىٰ اليمن ، إبان فتنة جهيمان العتيبي المشؤومة التي وقعت في الحرم المكي في أواخر السبعينيات ينتظرون موت العلامة مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ليرفعوا السيوف علىٰ مخالفيهم، فلما مات الشيخ قالوا «الآن ذهب الخوف» يعني نستطيع أن نتكلم بغير ملام ولا تهمة ، كشأن الذين قال الله فيهم : ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾.. وكان الشيخ مقبل يقول عن أمثال هؤلاء إنهم سنية بالنهار روافض بالليل ، متلوِّنون ، يعنىٰ لا يؤمن جانبهم ، ولله در الشاعر العربي :

إِنَّ العَدُوَّ وَإِنْ أَبْدَىٰ مُسَالَمَةً إِذَا رَأَىٰ مِنْكَ يَومًا فُرصَةً وَثَبَا .

وكثير من أهل الأهواء كذلك، يخفىٰ أمرهم علىٰ كثير من أهل العلم، ولا يتمكنون من كشف عوارهم وهتك أستارهم، ولا يزال هؤلاء يسعون بين طلابهم، بذكر تزكية المشايخ لهم، حتىٰ إذا خلىٰ لهم الجو، فعلوا كما قال القائل: « فخرِّبي ما شئت أن تخرِّبي» ، كلما يرون فتنة تشرأب لها أعناقهم، والجديد من الفتن أسرع جذبًا للمفتون من القديم، لخفة عقله وضعف علمه ، وهكذا يدور المغرور في الفتن ، لينكشف أمره ويفتضح نهجه ..

وقد خفي علىٰ هؤلاء أنَّ ناسًا من الأخيار السابقين كانوا في الأصل علىٰ السنة والمنهج الصحيح، ومنهم من كان عالما بالفقه، مبغضًا للروافض والخوارج ، كالحارث المحاسبي ، ولكنه لما جمع الناس حوله في فتنة الجهم بن صفوان حذَّر منه الإمام أحمد، قال علي بن أبي خالد : قلت: لأحمد إنَّ هذا

الشيخ لشيخ حضر معنا هو جاري وقد نهيته عن رجل ويحب أن يسمع قولك فيه حارثٌ القصير يعني حارثًا المحاسبي كنت رأيتني معه منذ سنين كثيرة فقلت لي لا تجالسه ولا تكلِّمه فلم أكلِّمه حتىٰ الساعة وهذا الشيخ يجالسه فما تقول فيه فرأيت أحمد قد احمَّر لونه وانتفخت أوداجه وعيناه وما رأيته هكذا قطُّ ثم جعل ينتفض ويقول : **«ذاك فعل الله به وفعل ليس يعرف ذاك إلا من خبره وعرفه أويه أويه أويه ذاك لا يعرفه إلا من قد خبره وعرفه ذاك جالسه المغازلي ويعقوب وفلان فأخرجهم إلىٰ رأي جهم هلكوا بسببه فقال: له الشيخ يا أبا عبد الله يروي الحديث ساكن خاشع من قصته ومن قصته فغضب أبو عبد الله وجعل يقول لا يغرك خشوعه ولينه ويقول لا تغتر بتنكيس رأسه فإنه رجل سوء ذاك لا يعرفه إلا من قد خبره».** [5]

وهناك من إذا جلسوا مع الشيوخ والعلماء تزيَّنوا لهم، بما يوافق معتقداتهم، بل ويكتبون الكتب في ذلك، حتىٰ إذا ابتعدوا عنهم طعنوا فيهم وفي علمهم، ومثل هؤلاء لا يزيدهم ثناء العالم عليهم وتزكيته لهم وهم علىٰ هذا الوصف واللؤم إلا ضعفًا ووهنًا، قال المعلِّمي اليماني رَحِمَهُ اللَّهُ **«وعادة ابن معين في الرواة الذين أدركهم أنه إذا أعجبته هيئة الشيخ يسمع منه جملة من أحاديثه، فإذا رأىٰ أحاديث مستقيمة ظن أن ذلك شأنه فوثقه، وقد كانو يتقونه ويخافونه. فقد يكون أحدهم ممن يخلط عمداً ولكنه استقبل ابن معبن بأحاديث مستقيمة، ولما بعد عنه خلط، فإذا وجدنا ممن أدركه ابن معين من الرواة من وثقه ابن معين**

([5]) «طبقات الحنابلة» (1/ 234).

وكذبه الأكثرون أو طعنوا فيه طعنـًا شديداً. فالظاهر أنه من هذا الضرب، فإنما يزيده توثيق ابن معين وهنا، لدلالته علىٰ أنه كان يعتمد .» [6] أهـ

ولقد نظرت في كثير من الردود التي اتهمت الشيخ ربيع ظلمًا وبهتانًا فوجدت أصحابها مفتقرون لتصور الواقع علىٰ حقيقته ، هم ومن أضلوهم بغير علم – ولا يمكن أن يتصور مثل هذا الواقع أحدٌ كالشيخ ربيع، فهو أدرىٰ به من غيره ، –وكما يقولون «أهل مكة أدرىٰ بشعابها »– كما وجدتهم في تحرير أقوالهم يرصُّون النصوص نصًّا بعد نص ، بغير فهم ولا إدراك ، ظنًّا منهم أنَّ هذا هو العلم ، ولم يقل أحدٌ أنَّ العلم هو رصُّ النصوص، إنما العلم في معرفة مراد الشارع الحكيم ، والجمع بين أطراف الأدلة ، وضمِّ المتماثلات بعضها لبعض، والتفريق بين المختلفات، والنظر في المقاصد الكلية للشريعة ، والتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين .. كما يجب أن يعلم أن هناك مسائل لا يحق للإنسان التكلم فيها، لما فيها من خطر مدقع محقق علىٰ القائل والمقول فيه والبلد الذي هو محل الفتنة ، وليس كلُّ ما يعلم يقال، ولا كلُّ ما يقال يصلح في كل زمان ومكان .ومن فقه ذلك فهو العالم . وهناك أمور أكبر من عقول المتكلمين فيها، ولا بد فيها من الكتمان ، وليس لكلِّ الناس فيها مطلب ومرام ، ويكفيك لمعرفة ذلك قول أبىٰ هريرة ﷺ قال: **«حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين فأما أحدهما فبثثته فيكم وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم يعني مجرىٰ الطعام»**. [7]، أما الوعاء الذي بثه فهو وعاء الشريعة، وأما الذي كتمه فهو الوعاء المتعلق بظلم

([6]) في تعليقه علىٰ «الفوائد المجموعة» ص 30.

([7]) رواه البخاري: 120

الولاة ، وهو أمرٌ خصَّه النبىٰ ﷺ بأبي هريرة ﷺ، وهو من الأسرار التي لا يجوز نشرها للعامة لما قد تسببه من الفتن.

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«وحمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه علىٰ الأحاديث التي فيها تبيين أسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم وقد كان أبو هريرة يكني عن بعضه ولا يصرح به خوفا علىٰ نفسه منهم»**. [8]

وهذا شاهد آخر عن الخليفة الراشد عمر رضي الله عنه، وفيه دلالة واضحة علىٰ وجوب تخصيص أهل العلم بأحكام وأخبار لا يجب أن يعلمها كثيرٌ من عامة الناس .. وذلك أنه لما أراد أن يتكلم في أمر الخلافة أمام العامة في الموسم قال له عبد الرحمن : **«يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم ، فإنهم هم الذين يغلبون علىٰ قربك حين تقوم في الناس ، وأنا أخشىٰ أن تقوم فتقول مقالة يطيّرها عنك كل مُطيّر ، وأن لا يَعوها وأن لا يضعوها علىٰ مواضعها ، فأمهل حتىٰ تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس فتقول ما قلت متمكّنا ، فيَعِي أهل العلم مقالتك ويضعونها علىٰ مواضعها، فقال عمر : والله إن شاء الله لأقومنّ بذلك أول مقام أقومه بالمدينة ... »** قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«بابُ من خَصَّ بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا ، وقال علي : حدثوا الناس بما يعرفون . أتحبون أن يكذب الله ورسوله »** أهـ

ولذلك فإني أرىٰ من الحماقة الكلام فيما يروِّجه بعض هؤلاء علىٰ العامة من دعوىٰ المجالس السرية. فهذه ادِّعاءات ما أراد بها المتكلم إلا أن

([8]) «فتح الباري» (1/ 216).

يرويَ غليل الحقد والكراهية التي يضمرها في نفسه، تجاه شخص له مكانة عند الشيخ ربيع تفوق مكانته، انتصارًا لنفسه وهواه ، ليضيِّع جماعةً بأكملها، وقد أراد أن يضربها، ويوشي بها لولاة الأمور، ليزجَّ بها في السجون والمعتقلات، ظلمًا وعدوانًا، وقد رأيت أنَّ هؤلاء جميعًا للأسف الشديد عاجزون تمامًا عن التفريق بين المجالس السرية والمجالس الحزبية، وذلك أن السرية ليست مذمومة علىٰ الإطلاق، كما يظن المدَّعون ، وليس في اختلاء شخص بشخص ولا جماعة بجماعة للتشاور في مسألة علمية تفوق مدارك العامة من الناس اختلاء مذمومًا، ولا النظر في القضايا الخاصة ببعض الطوائف والدول دون البعض نظرًا مذمومًا ، فقد كان النبىٰ ﷺ يتشاور مع أبىٰ بكر وعمر دون غيرهما في بعض الأمور العامة الخاصة بالمسلمين ، وبوَّب الترمذي في جامعه باب ما جاء من الرخصة في السمر بعد العشاء.عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: **«كان رسول الله ﷺ يسمر مع أبي بكر في الأمر من أمر المسلمين وأنا معهما».** [9]، وكان ﷺ يقول **«اجمعوا لي معشر الأنصار»** ليتكلم في مسألة تخصهم، وهي مسألة تقسيم الغنائم، لما قالوا : « يعطي قريشا ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم»[10] ، وكذلك كان مع المهاجرين، فليس كل ما يعلم يقال للعامة . ولا يمكن أن يصرف قول عمر بن عبد العزيز **«إذا رأيت قوما يتناجون في شيء دون العامة فاعلم أنهم علىٰ تأسيس ضلالة»** علىٰ مجالس العلماء وأهل الشورىٰ والمناظرات ، وهذا الأثر علىٰ ما فيه من ضعف إن صح فلا يجب أن يُتَّخذ منهجًا عامًّا إذا خالفه ما هو أوضح منه دلالة

([9]) رواه الترمذي وانظر «الصحيحة» للألباني (2781).

([10]) رواه مسلم: 1213

علىٰ المقصود ، وذلك باتفاق علماء الأصول . وهو-أي هذا الأثر- ليس حجَّةً حجَّةً علىٰ العلماء كما يظنون، إنَّما هو حجَّةٌ علىٰ الخوارج؛ فمجالس العلماء في النوازل ليست من هذا الباب، لأنَّ العلماء لا يمكن أن يجمعوا العامة في مجالسهم، ليكون لهم رأي معهم ، ولا يمكن أن يكون اجتماعهم سببًا في فتنة للمسلمين، ولا يمكن أن يكونوا مؤسسين لضلالة، ولكن هذا المدَّعي اتبع هواه، وفسَّر الباب علىٰ طريقته، انتقامًا لنفسه من صاحبه، ولم يفرق بين نتائج اجتماع العلماء في الأمر، وبين نتائج اجتماع الخوارج والدواعش، الذين يؤصلون للفتن، ويستبيحون الدماء والأعراض، فلم ينظر الطاعن فقط إلا في الرسوم والأشكال والصور، وترك حقيقة المراد . ومن المعلوم أن اجتماع بعض العلماء مع بعضهم البعض دون غيرهم من العامة أمر ثابت عند عامة الدعاة والعلماء في جميع البلدان ، ولم يقل أحدٌ أنَّها مجالس سرية مذمومة، تؤصِّل للفتنة وتنشر الفساد .. يتنزَّل عليها ما ورد في قوله ﷺ : «**وعليك بالعلانية وإياك والسر**» فهذا الأثر إن صح فهو متعلق بما يُدبَّر في الخفاء من مسائل الخروج علىٰ الولاة والتخطيط للجرائم والإشاعات والأكاذيب .

أما مجالس العلماء والأئمة المجتهدين التي تتناول ما يتعلق بمصالح الأمة فليست من هذا الباب ، ولو ترك الأمر لكل متربص بأقوال العلماء وأفعالهم يفسِّرها كما يشاء لتفرَّقت الأمة الإسلامية جمعاء بعلمائها وطلابها وعامة أهلها .. وقد ظن من لا علم لهم أن مجالس شورىٰ العلماء الخاصة بالنوازل ومسائل القتال يجب أن تعلن نتائجها للعامة من الناس.. الخ وهذا القول مع تنوع الفرق

والمذاهب والآراء ، ومع تربص الفرق بالعلماء والمشايخ والدعاة، ومع كون العلماء غرباء معزولون عن أسباب الحماية والمنعة قول هزيل ..

فليست هذه المسألة مسألة هينة، لا سيما وأنها تتعلق بجماعات تستبيح الدماء والأعراض، ولا ترعوي تلك الجماعات من توجيه الضربات القاتلة والاتهامات الشنيعة إلىٰ العلماء والأئمة الذين يتكلمون فيهم، ويفتون الخاصة بشأنهم، وهذا أمر ينبغىٰ فيه السرية والتكتم ، حفاظا علىٰ دماء هؤلاء الشرفاء ، ولكن هذا الدَّعي – بجهله وجهل من لا يدري من السائرين خلفه بغير علم – أراد متطوعا أن يشير إليهم، لتسفك دماؤهم.. وهان عليه أمرهم وأرواحهم، بسبب عداوته الشخصية لهم، وهو يعلم تمام العلم أن هؤلاء العلماء ينظرون في مصالح الأمة ، وفي شأن أوطان ليس فيها ولاة ممكنون ولا علماء آمنون، وأن هؤلاء العلماء يتبعون عالمًا فاضلاً وإمامًا في الجرح والتعديل لا يستبيح الدماء والأعراض، ولا يفرِّق الأمة، ولا يدعو إلىٰ الحزبية ، ولا يؤصل للخروج علىٰ ولاة الأمور، ترك هذا الدَّعي بسوء فهمهم هذا كلَّه وراءه ظهريًّا ، ولبس ومن معه لباس العداوة والبغضاء والكراهية، ليطعنوا في إخوانهم بغير علم ... أيُّ ضَعْفٍ أعظم من هذا الضَّعْف .؟ أيُّ رداءة في التفكير أشد من هذا ؟ فلا شرع ولا سياسة، ولا مصلحة ولا عقل ..

وقد وجدت بعضهم ينقل كلام من اتهمه بتلك الفرية حرفيًّا، وفيه ما يدينه، ويبين ضعف فهمه للأمور .. فالناظر الذي اتهمه وسعىٰ في إسقاطه يقول إن الأمر يعرض علىٰ الشيخ ربيع مختصرا . ولا ينظر إليه نظرا فرديًّا، إنما ينظر باتفاق العلماء وقال: «لتكون فتوىٰ قوية تصل إليكم » ....الخ

فأيُّ شيءٍ في هذا ضلَّ فيه الدكتور عبد الواحد المدخلي يا أيها المتربص، وهو من طلاب الشيخ ربيع وخدَّامه وأصحابه ، وهو يتوقَّىٰ البطش بهؤلاء المشايخ، ويدفع عنهم خصومهم، ويحفظ لهم أسرارهم، حرصًا عليهم ولطفًا بهم .. فالنصوص معه ، والعلماء معه والسياسة الشرعية معه .. وهو أضبط وأحرص في هذا الجواب من المستمعين إليه، ولكن ماذا تقول للعداوة إذا بلغت مداها .. ! فليست سرية هؤلاء يا إخواني وهم يتشاورون في مسائل النوازل، ويعرضون الأمر علىٰ العلامة الشيخ ربيع نكبة علىٰ الدعوة ، ولا هي خروج علىٰ ولاة الأمر ، ولا تعلق لهم بها ، وليس لهم أن يمنعوا أحدًا من الأئمة المجتهدين من الفتوىٰ في مسائل النوازل، ولا أن يمنعوا أحدًا من الرد علىٰ أهل البدع والخوارج، وقد جاء في ترجمة شيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي أنه قال : «**عُرضت علىٰ السيف خمس مرّات، لا يقال لي: ارْجع عن مذهبك، لكن اسكتْ عمن خالفك، فأقول: لا أسكت**»[11]، وليس في هذه المجالس ما يخالف الكتاب والسنة، لأنها تتم في منزل إمام من الأئمة الأعلام المشهود له بالدين والدراية من علماء عصره ، وهي تعرض عليه ويباشرها بنفسه، لأنه يتحمل مسئوليتها أمام الله تعالىٰ .. وليست مجالس هؤلاء العلماء يا إخواني في الله متماثلة مع المجالس السرية للفرق الحزبية الخارجية المفلسة ، التي لا ترىٰ لذنب كفارة إلا بالقتل .! كي ينتقل حكم هذه لتلك .. وهذا هو الذىٰ شهد به الأئمة الأعلام ، قال العلامة الشيخ صالح الفوزان في تفسير قول الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى

---

(11) «سير أعلام النبلاء» (18/ 509).

ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ ﴾ «**فالأمور التي تتعلق بمصالح المسلمين و بالأمة، هذه لا يتولاها إلا أهل الحل و العقد ... وهذه أيضـًا أمور قد تكون أمورًا سريَّة تعالج بالسريَّة و لا تعالج علانيةً أمام الناس، و إنما تعالج مع السريَّة ومع الطرق الصحيحة ، فالأمور تحتاج إلىٰ رويَّةٍ و إلىٰ تعقل، و الواجب علىٰ العامة أن يرجعوا إلىٰ أهل العلم و أهل الرأي و البصيرة في هذه الأمور**» اهـ.

وهذا ردُّ الشيخ العلامة الربيع علىٰ فرية المجالس السرية، وهو أبصر بحقيقة الواقع وتصوره من كافة الدعاة، الذين تكلموا في هذه المسألة .. قال : «يعني أهل السُنَّة ما يتشاورون ؟! ، الله يقول : ﴿ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾.

السائل : بعضهم يسمي هذا الفعل : هذا مثل التنظيمات السرية ! .

الشيخ مقاطعًا : كذب هذا ، هذا كذب ، شورىٰ لأننا ننشرها ، وننشر آثارها – بارك الله فيك – العوام لهم مجالس شورىٰ ، والنصارىٰ لهم مجالس شورىٰ ، والعلماء ليس لهم مجالس شورىٰ – بارك الله فيك – ؟! التنظيمات السرية هي لأهل الفتن ، أما أهل السُنة فمواقفهم كالشمس في كل شيء ؛ ما عندهم هذا – بارك الله فيك – أهـ.

ولله در الشاعر العربي :

لا تُفْشِ سِرّاً إِلىٰ غَيرِ اللَبيبِ وَلا الخَرق المُشِيعِ لهُ يَومـًا إذا غَضِبَا .

وننتقل إلىٰ أمر آخر متعلق بنفس القضية، ألا وهو حكم الدخول علىٰ العلماء، وهل يجوز للعلماء أن يمنعوا بعض الناس من الدخول عليهم .؟

أقول جوابا علىٰ ذلك .. هذا أمر متعلق بالمشاعر والطبائع، فرد رجل له مقام في الدعوة والعلم ليس بأمر هين، إنه أمر شاق علىٰ النفس، لا يتحمله إلا من ملك عقله، وحافظ علىٰ دينه، وراقب الله تعالىٰ ، والتزم شرائعه، ودفع نفسه وهواه ، وألجم لسانه عن الكلام فيما يشينه ويعيبه ، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ والمخلص في طلب العلماء يلتمس الأعذار ، أما ضعيف الدين والنفس فإنه لا يروق له إلا التشنيع والطعن، وقد كان بعض العلماء في الزمن الماضي يختبرون طلاب العلم بذلك ليعرفوا معادنهم في المروءة والصبر .. أما رد بعض الناس عن العلماء ومنعهم من الدخول عليهم فهذا أمر ثابت في سيرة السلف رضىٰ الله عنهم ، فقد كانوا يغلقون الأبواب أمام أهل البدع المشهود لهم بالضلالة والغواية ، عن أسماء بن عبيد، قال: دخل رجلان من أصحاب الأهواء علىٰ ابن سيرين فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث؟ قال: «لا»، قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله؟ قال: «لا، لتقومان عني أو لأقومن»، قال: فخرجا،

فقال: بعض القوم. يا أبا بكر، وما كان عليك أن يقرآ عليك آية من كتاب الله تعاليقال: «**إني خشيت أن يقرآ علي آية فيحرفانها، فيقر ذلك في قلبي**».[12]

وروىٰ شيخ الإسلام الأنصاري في (ذم الكلام وأهله) [13] عن معمر قال : «**كان ابن طاوس جالسا فجاء رجل من المعتزلة فجعل يتكلم قال فأدخل ابن**

([12]) أخرجه الدارمي في «سننه» (1/ 389).

([13]) (4/ 298).

طاوس أصبعيه في أذنيه وقال لابنه أي بني أدخل أصبعيك في أذنيك واسدد لا تسمع من كلامه شيئا قال معمر : -يعني أن القلب ضعيف- »أهـ

أما احتجاج بعض الفضلاء في أمر الدعوة بأن النبيَّ صلىٰ الله عليه وسلم لم يكن عنده بوابين، يمنعون الناس من الدخول عليه ، ليسوِّغ الدخول علىٰ العلماء بغير موعد ولا ترتيب ولا إذن ، محتجًا بحديث المرأة التي قالت للنبيِّ صلىٰ الله عليه وسلم : « إنك لم تصب بمصيبتي .. فذهبت إليه» ولم تجد عنده بوابين ، فالمراد بذلك أنه ليس عنده حراس كالملوك والأمراء .. لكن هذا لا يعنىٰ أنَّ النبيَّ صلىٰ الله عليه وسلم لم يكن عنده خادم ولا بوابون ولا حرَّاس علىٰ الإطلاق ، ولا أنَّ الناس كانوا يدخلون علىٰ النبيِّ بغير استئذان ، كيف ذلك وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾، أما الخدم فقد كان أنس خادمًا للنبيِّ صلىٰ الله عليه وسلم ، وقد دعا له النبيُّ صلىٰ الله عليه وسلم ولم يكن يفشي له سرًّا ..

وفي حديث «بئر أريس» الذي رواه أبو موسىٰ الأشعري شهادة بأنه كان بوَّابًا للنبيِّ صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ باب البئر، وقد كان مصنوعا من الجريد، وقد كان يستوقف الأخيار قبل أن يدخلوا علىٰ النبيِّ صلىٰ الله عليه وسلم ، وفيه قال أبو موسىٰ : «**لأكونن بوَّاب رسول الله -صلىٰ الله عليه وسلم- اليوم، فجاء أبو بكر، فدفع الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر، فقلت: علىٰ رسلك، ثم ذهبت، فقلت: يا رسول الله! هذا أبو بكر يستأذن، فقال :ائذن له وبشِّره**

بالجنة فأقبلت حتىٰ قلت لأبي بكر: ادخل، ورسول الله -صلىٰ الله عليه وسلم- يبشِّرك بالجنة .. ».[14]

أما الحرَّاس فقد كان للنبيِّ صلىٰ الله عليه وسلم حرَّاس يحرسونه، روىٰ أحمد عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه، أنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عام غزوة تبوك قام من الليل يصلي، فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه، حتىٰ إذا صلَّىٰ وانصرف إليهم، فقال لهم: «**لقد أُعطيت الليلة خمسًا، ما أُعطيهنَّ أحدٌ قبلي**..» الحديث.[15]

فالواجب علىٰ إخواني من طلاب العلم الأكابر والمتصدرين من الدعاة الأمناء علىٰ أمر تلك الدعوة الأثرية السنية ألا يكتفوا بنصٍّ واحد في المسألة، وألا يغمضوا أعينهم عن بقية النصوص، فالسنة كلُّها وحيٌ من الله تعالىٰ، والواجب العمل بها جميعًا ، مع معرفة مراد الله تعالىٰ ورسوله صلىٰ الله عليه وسلم من أقوال العلماء والأئمة ..

وعلىٰ إخواننا جميعًا الذين يردون علىٰ مجالس العلماء باختلاف صورهم وأشكالهم أن يصبروا ، ابتغاء وجه الله ، وينظروا في القواعد والأصول الشرعية ، وإذا تعلق في قلوبهم شيء فليكن الغضب فيه إذا انتهكت حرمة من حرمات الله تعالىٰ، لا سيما في الأمور المتعلقة بالمخالفات المنهجية والعقائدية الصريحة، وعليهم أن يحطوا مشاعرهم وغضبهم تجاه بعض الناس بغير حق حيث يحطون نعالهم ، ويتركوا الانتقام للنفس ، والتربص بالدعاة إلىٰ الله تعالىٰ،

([14]) رواه البخاري (3674).

([15]) قال العلامة أحمد شاكر : إسناده صحيح، علىٰ خطأ في اسم أحد رواته عمرو بن يحيىٰ (6/ 481).

وليعلموا أنَّ الأيام دول، ولا يقولوا أقوالاً قاصرةً غير عادلة، تنمُّ عن عدم إدراك للمصالح الكلية للشريعة . والواجب علىٰ المحبين والزائرين الانتظار أو التردد علىٰ العالم ، حيثما تأتيهم الفرصة إلىٰ ذلك، وهو طيِّب النفس، مستريح البال، قال ابن عباس رضىٰ الله عنهما: «وإن كان يبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسَّد ردائي علىٰ بابه يسفي الريح عليَّ من التراب فيخرج فيراني، فيقول:يا ابن عمِّ رسول الله النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما جاء بك؟ هلاَّ أرسلت إليَّ فآتيك ؟ فأقول:لا، أنا أحق أن آتيك قال: فأسأله عن الحديث» قال الحاكم «**هذا حديث صحيح علىٰ شرط البخاري وهو أصل في طلب الحديث وتوقير المحدِّث** »[16].

أما بشأن الشيخ العلامة المحدث الشيخ ربيع بن هادي فالناس يذهبون إليه في بيته بالمئات، وهو في مرضه مع هذه السن الذي قارب التسعين عامًا – أطال الله في عمره علىٰ طاعته – فلا بد أن يُنظِّم له أحد طلاب العلم دخول الناس وخروجهم عليه، وهذا أمر متبع عند كافة المشايخ ، لا يعترض عليه عاقل، حفظا لمقام الشيخ وترفقًّا به .. ويجب ألا يُتَّخذ ذلك ذريعة للطعن في أحد، فإن ذلك نذير شؤم وبلاء ، وقد أخبرني أحد علماء الحديث أنَّ طالب علم ذهب للشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ من مصر ، ليلقاه في الأردن ، فقالوا له هل بينك وبين الشيخ موعد ؟ فقال له : لا ، فلم يؤذن له بالدخول، وعاد إلىٰ بلده ولم يظفر بشيء، فلما عاد قام يصب اللعنات علىٰ الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ ويطعن في علمه ، وقد أخبرت بما كان من أمره أنه انضمَّ إلىٰ تنظيم الجهاد ، وقد ذاق من أجل ذلك الويلات ،

([16]) في مستدركه (1/ 188).

فقال يا ليتني استمعت لكلام العلماء، وعظَّمت مقامهم وسلكت دربهم، ولم أطعن فيهم .. فالشيخ ومن معه معذورون في ذلك ، لا سيما أنَّ كثيرًا من الناس لا يعرفون ضوابط الكلام مع العلماء ، و هناك جَمعٌ من الناس عندهم ثرثرة بالغة، ولا يستطيعون اختصار الكلام اختصارًا يتناسب مع مقام والشيخ ووقته ، فيصاب الشيخ بالملل، وتضيع الفائدة من لقائه ، ومن الناس من هو بارد الطباع، إذا جلس بجوارك يكاد أن يسقط كتفك الذي يليه، ومنهم من هو منفِّرٌ حادٌّ جافُّ الطبع، ذرب اللسان مثير للعصبيَّة ... الخ ومع كبر السنِّ قد لا يطيق المرء رؤية هذه الأصناف من الناس ، لا الشيخ ربيع ولا غيره، ربما لشدة المرض أو لغيره ، وإن صبر فعلىٰ مضض ، وقد كان شيخ الإسلام يمتحن بمثل هؤلاء كثيرًا ويصبر .. وهذه أمور تتطلب الرفق من القيِّم علىٰ ذلك، مراعاةً لشعور الناس في هذا الزمان ..وعليه فمطالبة المتكلم بالاختصار مع الشيخ ليس معناه إخفاء العلوم الضرورية التي تتطلب الفتوىٰ عن الشيخ ، لا سيَّما في مسائل الدماء، ولو كان المعروض علىٰ العالم ناقصًا فهذا لا يفوته حتىٰ يسأل عنه ، ويتصوَّر حقيقة الواقع تصوُّرًا كاملاً من جميع جوانبه، وهذا هو ظننا في الشيخ ربيع حفظه الله وأدام توفيقه .. ومن ظنَّ بالشيخ العلامة الربيع غير ذلك فهو متجنٍّ عليه بغير الحق .

وعلىٰ ذلك فليس في اختصار الكلام شيءٌ إذا كان يوفِّي بالمقصود، ولا يخلُّ بالجواب ، ولو تصوَّر طالب العلم أنَّ الحاكم ربما يعرض عليه في اليوم الواحد أكثر من عشرة آلاف تقرير لحالة المجتمع والدول والأفراد .. وهذه لا يمكن أن يقرأها جميعا .؟ ولا بدَّ أن تعرض عليه مختصرة، ويؤتىٰ فيها بالأهم فالمهم ، ويحيل الباقي إلىٰ أهل الاختصاص والمسئولية من عماله ووزرائه ممن

يثق فيهم ، فكذلك العالم قد يحيل إلىٰ بعض طلابه ووزرائه لينظر في الأمر، وقد كان الشيخ العلامة ابن باز رحمه الله تعالىٰ يحيل إلىٰ بعض طلابه ووزرائه لينظروا في الكتب التي تعرض عليه، ويأمرهم ببحث المسائل التي تشقُّ عليه، نظرًا لضيق وقته، ثم تعرض عليه مختصرةً ليحكم فيها، **وإنه من الشهادة الواجب الإدلاء بها أننا لا نعرف في هذا العصر بعد الشيخ العلامة ابن باز رحمه الله تعالىٰ رجلا يفتح بيته للالتقاء بالوفود من جميع أنحاء العالم، ليجمع كلمتهم ويوحِّد صفوفهم مثل العلامة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله، فقد ضرب في هذا الباب بسهم وافر، وصدر واسع فحقُّه أن يشاد به، وأن يرفع مقامه، لا أن يقابل صبره وإحسانه علىٰ إخوانه وطلابه باللؤم والنكران ، كما فعل بعض المفرِّقين، أعاذنا الله تعالىٰ من سيّء الأخلاق.**

أما أنَّ العلماء يفتون في مسائل النوازل والجهاد فهذا أمر معلوم، كما أفتىٰ شيخ الإسلام في أمر أهل ماردين مع حكامهم من التتار الروافض الظلمة، ولم يكن شيخ الإسلام يستأذن ولاة الأمور، ليفتي في أمر أهل ماردين ..الخ وكما أفتىٰ الشيخ ابن باز والشيخ العثيمين والشيخ الألبانىٰ والشيخ ربيع في فتنة الجزائر، ولم يثبت أنهم استأذنوا الأمراء في ذلك، وكما أفتىٰ الشيخ حسن عبد الوهاب أهل ليبيا في مسائل القتال، دون أن يستأذن أولي الأمر في ذلك، وكما وجَّه بعض طلاب الدعوة نداءات إلىٰ كتائب مقاتلة في ليبيا، ولا يعرف عنه اختصاص بذلك ولا نظر .. والشيخ ربيع والشيخ عبيد أحرىٰ بالفتوىٰ في النوازل المعاصرة ، لما تميَّزوا به من معرفة بالفرق والرجال بشهادة الأئمة ..

فالأمراء علىٰ كلِّ حال تبع للأئمة المجتهدين ، كما بيَّنت من قبل ، لأنَّهم أهل للتصوُّر العام ، وهم علىٰ دراية بحال المحكوم عليهم ، وكذلك علىٰ دراية بالحكم الشرعي الخاص بهم ، فهم أهل العلم والمعرفة ، فلا يمكن أن تتعلق أحكامهم بمن دونهم في المرتبة ، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والتحقيق أنَّ الأمراء إنما يطاعون إذا أمروا بمقتضىٰ العلم؛ فطاعتهم تبعٌ لطاعة العلماء؛ فإنَّ الطاعة إنَّما تكون في المعروف وما أوجبه العلم، فكما أنَّ طاعة العلماء تبعٌ لطاعة الرسول صلىٰ الله عليه وسلم فطاعة الأمراء تبعٌ لطاعة العلماء**» .[17]

ولو تصوَّرنا أنَّ العلماء الكبار والأئمة المجتهدين لا يفتون في مسائل النوازل إلا بأن يقترن وجودهم مع الأمراء في كلِّ مسألة ، كما ادَّعىٰ هؤلاء لما تكلم في النوازل أحدٌ أبدًا ، لا العلماء ولا غيرهم ، لا سيما عند من يقول بكراهية الدخول علىٰ السلاطين، لما يخشىٰ علىٰ الداخل عليهم من الفتنة، وإذا كانوا لا يقربون إليهم إلا أهل الأهواء وضعفاء الرأي والدين ، أو كان السلطان جائرًا يحكم بين الناس بهواه .

فحريٌّ بهؤلاء الطاعنين ألا يتناقضوا مع أنفسهم ، وأن يفهموا الأمور علىٰ حقيقتها والواقع بصورته، وعليهم أن يوازنوا بين أطراف الأدلة والأحكام، ليخلصوا إلىٰ ما فيه صالح البلاد والعباد، ولا يجوز لهم أن يحرموا علىٰ الناس ما يبيحونه لأنفسهم ، فهذا أمر مثيرٌ للإنكار ..

أَحَرَامٌ عَلَىٰ بَلاَبِـلِهِ الدَّوْحُ حَلاَلٌ لِلطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جِنْسِ. ؟

([17]) «إعلام الموقعين» (1/ 8).

وختامًا .. فرجائي من إخواني في الله تعالىٰ الذين تجنَّوا علىٰ إخوانهم وعلىٰ علمائهم بالقول والفعل أن يترفقوا في القول والفعل، وأن ينظروا في الأمور علىٰ طريقة أهل الحديث والأثر، وأن يتراجعوا عن أقوالهم الفاسدة ، وطعوناتهم الجائرة، التي بُنيَت علىٰ مفاهيم خاطئة، لم يسبقهم إليها أحدٌ من أهل العلم والأثر، ولا ينبغي علىٰ من ينتقي منهم نُتَفًا غريبةً من أقوال العلماء أن يجعلها منهجًا يُحتذَىٰ به، دون أن يرجع للأصول والقواعد الكلية للشريعة، وعليهم أن ينأوا بأنفسهم عن العداوات والخصومات الشخصية، ويقدِّموا مصلحة الدين والشريعة علىٰ مصالحهم الخاصة ، ويتوبوا إلىٰ الله تعالىٰ توبة خالصة، قال تعالىٰ : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾،ولا يكونوا من الذين ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾، وعليهم أن يعلموا أنَّ طريقتهم في الطعن في العلماء طريق سوء وشر وعواقبه وخيمة في الدنيا والآخرة .. وفي نهاية المطاف أقول لك أيها السلفيُّ : إنَّ الطالب السلفيَّ هو الذي تلقَّىٰ العلم عن شيخه السَّلفي بحججه وأدلته ، وبقيَ عليه ولم يتغيَّر في فتنة، أما من كان فيه بذرة خبث خفيَّة طال خفاؤها، ولما حانت لها الفرص ترعرعت بالأفهام السقيمة والآثار الموضوعة، فأظهرها علىٰ الملأ ، فهذا لا يؤمن عليه من سوء العقاب.

وأقول أيضا إنَّ من الواجب علىٰ كلِّ سلفيٍّ استبان له الحق في وقت الفتن أن يظهره ولا يكتمه ، ولا يقف بين الصفين لا إلىٰ هؤلاء ولا إلىٰ هؤلاء، فهذا من الحيرة والشك .. وقد يكون بسبب عدم العلم أو عدم تصور الواقع ، وربما يكون الخوف ما نعًا من قول الحق ...

وقد أمرنا أن نقول الحق أينما كنَّا لا نخاف في الله لومة لائم .. وقد أخذ الله تعالىٰ العهد علىٰ أهل العلم أن يعلِّموا الناس العلم ولا يكتمونه ، كما أخذ العهد علىٰ أهل الجهل أن يتعلَّموا ، ولو كان كل اختلاف يقع يهرب فيه الناس ، فلا تجد كلمة لعالم ولا حكمة لعاقل لاختلط الحق فيه مع الباطل، ولوجد أهل الضلال ثغورًا يفسدون من خلالها دين المسلمين، قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «**لو كان الواجب في كل اختلاف يقع بين المسلمين الهرب منه بلزوم المنازل وكسر السيوف لما أقيم حد ولا أبطل باطل ولوجد أهل الفسوق سبيلا إلىٰ ارتكاب المحرمات من أخذ الأموال وسفك الدماء وسبي الحريم بأن يحاربوهم ويكف المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا هذه فتنة وقد نهينا عن القتال فيها وهذا مخالف للأمر بالأخذ علىٰ أيدي السفهاء**» [18].

أسأل الله تعالىٰ بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا أن يهديَ سائر إخواننا في الله تعالىٰ ، وأن يردَّهم إلىٰ الحقِّ ردًّا جميلاً، وأنبِّه علىٰ أمر مهم هو أنني ما قصدت من القسوة في بعض المواضع شرًّا لهم إلا ليزدجروا، فمن وجد فيه خيرًا فمن الله تعالىٰ، ومن وجد فيه غير ذلك فمنِّي ومن الشيطان والله منه براء.

وصل اللهم علىٰ نبيِّنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم .

كتبه المسيكين إلىٰ عفو ربه ومولاه

علي بن السيد الوصيفي

القاهرة في 26 جمادىٰ الآخر

الموافق ل 3 مارس 2019 م

منتديات التصفية والتربية السلفية
محفوظة جميع الحقوق
www.tasfiatarbia.org

([18]) انظر «فتح الباري» (13/ 34).